﴿خَٰلِدِينَ فِيهِۖ وَسَآءَ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ حِمۡلٗا ١٠١﴾ [طه: 101]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

بعد تقرير العذاب على مَنْ أعرضَ عن الذِّكر، وصفَ حالتَهم فيه

لمّا بيَّن النَّظمُ الجليل أنَّ مَن يُعرض عنِ الذِّكر الحكيم يحمل الوِزرَ يوم القيامة، وما يتسبَّب عنه من العذاب؛ بيَّن النَّظم هنا حالتَهم في حملِهم ذلك الوزرَ، فقال جلَّ شأنه: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهِۖ وَسَآءَ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ حِمۡلٗا﴾، مقيمين في عقوبة الوِزر لا يجدون عنها محيصًا، ولا يستطيعون منها انفكاكًا(1).

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَسَآءَ﴾: (سوء/سوأ) أصلٌ يدلُّ على القُبحِ(2)، ساءَهُ يَسُوءُ سَوءًا وسُوءًا: فعَلَ به ما يَكْرَهُ، نَقيضُ سَرَّه، والاسمُ: السُّوءُ بالضَّمِّ(3)، والسُّوءُ: كلُّ ما يغمُّ الإنسان من الأمور الأخروية والدنيويَّة كفقد مالٍ أو حميم، وساءه كذا، وأسأت إلى فلانٍ، أي: أدخلت عليه السّوءَ، وساء يكون لازمًا؛ إذا كان للذَّمِّ بمعنى بِئْس، كقوله تعالى: ﴿سَآءَ مَثَلًا ٱلۡقَوۡمُ﴾ [الأعراف: 177]، ومتعدّيًا؛ إذا لم يكن كذلك(4)، والمرادُ به في الآية الكريمة الدَّلالةُ على الذَّمِّ بمعنى بئس، أي: بئس ما حملوا، وبئس الوِزرُ لهم حِملًا يوم القيامة(5).

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

من توعّدَ بالخلود في العذاب جديرٌ بالبؤس والذَّمِّ

يُخبر النَّظمُ الكريم أنَّ مَن أعرض عن الذِّكر، وهو القرآن الكريم، فإنَّه يحملُ بسبب هذا الإعراضِ والتَّرك آثامًا كثيرة يوم

(1) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 16/ 149.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (سوء).
(3) ابن منظور، اللّسان: (سوأ).
(4) السّمين، عمدة الحفّاظ: (سوأ).
(5) الواحديّ، البسيط: 14/ 515 - 516.

القيامةِ على ظهره، تؤدّي إلى عقوبةٍ مهينة من اللّه تعالى، وحالتُهم أنَّهم خالدون في ذلك العذاب المترتِّب على هذا الوِزر، وما أسوأ ذلك الحملَ الَّذي حملوه! والوزرَ الَّذي ارتكبوه بحقِّ أنفسهم؛ بسبب إعراضِهم عن هداية القرآن الكريم![1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

علَّةُ فصل صدر الجملة عمّا قبلها:

الـوِزرُ المحمول على الكواهل يوم القيامة موصوفٌ بالسّوء والخلود

فصلَ النَّظمُ الجليل الجملة في قوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهِۖ وَسَآءَ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ حِمۡلٗا﴾؛ لأنَّها مستأنفةٌ لبيان صفة اليوم المذكور في ختام الآية السّابقة، حيث قال جلَّ شأنه: ﴿فَإِنَّهُۥ يَحۡمِلُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وِزۡرٗا﴾، فوصفه بوصفين: أحدهما: أنَّه يكون مخلَّدًا مؤبَّدًا، والثّاني: وصفه بالسّوء[2]، ووجودُ أحد الوصفين مع الآخر يهوِّل أمرَ الوعيد، ذلك أنَّ السّوء؛ إذا خلد، ولم يكن أمل قطُّ في انتهائه وزواله؛ امتدَّ العذاب إلى ما لا نهاية، وأنَّ الخلود مع الحال السَّيِّئ يملأ النَّفسَ بالحسرة والنَّكد، وبذلك فهما حالان، أحلاهما مرٌّ.

فائدةُ التَّقييد بالجارِّ والمجرور ﴿فِيهِۖ﴾:

تقييدُ الخلودِ بالوجود في العذاب أصرحُ في بيان شدَّة العقاب

قيَّد النَّظمُ الجليل الخلودَ المذكور في صدر الجملة بأنَّه كائنٌ في العذاب، في قوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهِۖ وَسَآءَ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ حِمۡلٗا﴾، فهم خالدون في العذابِ الَّذي ترتَّب على الوِزر[3]، فتقييدُ الخلود بأنَّه كائن بالعذاب يدفع توهُّم أنَّهم خالدون مطلقَ الخلود، فهو خلودٌ في التَّعذيب.

دلالةُ الواو في ﴿وَسَآءَ لَهُمۡ﴾:

سوءُ الحالِ والخلود بالعذاب من أحوال أهل النّار

عطفَ النَّظمُ الجليل الجملةَ في قوله تعالى: ﴿وَسَآءَ لَهُمۡ يَوۡمَ

(1) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 9/ 150.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 22/ 97.
(3) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 9/ 150.

﴿ٱلۡقِيَٰمَةِ حِمۡلٗا﴾ على الجملة في قوله جلَّ شأنه: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهِۖ﴾ بالواو العاطفة، للدَّلالة على المشاركة بينهما بالحال، فكلتا الجملتين تعبِّر عن حال من أحوال ذلك اليوم بالنِّسبة للمُعرِضين عن كتاب الله تعالى، فهم يحملون أوزارَهُم خالدين في العذاب مسوئين به[1].

دلالةُ الفعل ﴿وَسَآءَ﴾ وإيثار التَّعبير به:

تحقُّقُ صفةِ السّوء بالعذاب المتحصِّلِ عليه يوم القيامة

عبَّرَ النَّظمُ الجليل بالفعل ﴿وَسَآءَ﴾ للدَّلالة على الذَّمِّ، في قوله تعالى: ﴿وَسَآءَ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ حِمۡلٗا﴾، فالفعل ﴿وَسَآءَ﴾ يُؤتى به لإنشاء الذَّمِّ، فهو بمعنى (بئس)، أي: وما أسوأ هذا الوزرَ حملًا! والمخصوصُ بالذَّمِّ محذوفٌ يدلُّ عليه التَّمييز ﴿وِزۡرٗا﴾، وتقدير الكلام: وساء لهم حملًا وزرُهم[2]، وحَذْفُ المخصوص بالذمِّ والمدح شائعٌ مشهور لدلالة الكلام عليه، وقد جُعِلت صيغته بالماضي للدَّلالة على ثبوت اتِّصافه بصفة الذَّمِّ وتحقُّقها فيه.

دلالةُ اللّام في ﴿لَهُمۡ﴾ وأثرها في المعنى:

تبيينُ المقصودِ بسوء الحمل يؤكِّد الاستحقاق

عبَّر النَّظمُ الجليل بشبه الجملة ﴿لَهُمۡ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَسَآءَ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ حِمۡلٗا﴾؛ لتبيين المقصودِ بالآية، فاللّام للتَّبيين، كما في قوله جلَّ شأنه: ﴿هَيۡتَ لَكَۚ﴾ [يوسف: 23]، فلمّا قال: ﴿وَسَآءَ﴾؛ بيَّن أصحاب السّوء والمقصودين بالذَّمِّ، فقال: ﴿لَهُمۡ﴾[3]، وهذه اللّام تبيِّن المفعول به في المعنى؛ فإنَّ أصل الكلام: "ساءهم الحمل، فجيء باللّام لزيادة تبيين تعلُّق الذَّمِّ بحمله، فاللّام لبيان الذين تعلَّق بهم سوء الحمل"[4].

نكتةُ تقديم ﴿لَهُمۡ﴾ على الظَّرف ﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾:

تعجيلُ بيان مستحقِّ الذَّمِّ؛ لأنَّه الأصل في استحقاقه

قدَّم النَّظمُ الجليل شبه الجملة من الجارِّ والمجرور على الظَّرف

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 303.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 22/ 97.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 41.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 303.

في قوله تعالى: ﴿وَسَآءَ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ حِمۡلٗا﴾، وذلك للاهتمام ببيان مَن تعلَّق السّوء بهم، فتبيين مَن يُساء بالعذاب والوزر أهمُّ من بيان وقته، كما أنَّ الفعل متطلِّب لبيان جهة وقوعه أكثرُ من تطلُّبه لبيان زمان الوقوع، ولا يخفى أنَّ الضَّمير في ﴿لَهُمۡ﴾ هو في الأصل مفعول به، فكان التَّقديمُ حقًّا له على الأصل، والتَّقديم هنا مناسب لأسلوب الذَّمِّ، حيث عجَّل ببيان مَن يساء ويُذمُّ، وهم المعرضون عن كتابِ الله.

سرُّ التَّصريحِ بـ﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ هنا:

تهويلُ اليومِ المهيب بتكراره تقريع للمكذِّبين المعرضين

كرَّر النَّظمُ الجليل لفظَ ﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾، في قوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهِۖ وَسَآءَ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ حِمۡلٗا﴾، وكان قد ذكره آنفًا في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥ يَحۡمِلُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وِزۡرٗا﴾، وذلك للزّيادة في تهويل ذلك اليوم، وتقرير وقوعه، فلمّا كانوا منكرين ليوم القيامة؛ كان تكرارُهُ مع قُربِ العهد قارعًا لأسماعهم[1]، ومذكِّرًا لهم به، ومؤكِّدًا لوقوعه؛ لأنَّ إنكارهم له سوف يحول بينهم وبين تصوُّرِ الهول الَّذي لا يشبهه هولٌ من أهوال الدُّنيا مهما كان مروِّعًا، ولكنَّ إخبار القرآن حقٌّ لا مراء فيه، وتنبيههم رادعٌ لهم، حتّى يلتفتوا إلى عِظَمِ الهول المنتظر يوم القيامة الأكبر، لمن أراد أن يذَّكَّر.

بديعُ جناس الاشتقاقِ في ﴿حِمۡلٗا﴾ و﴿يَحۡمِلُ﴾:

تكريرُ لفظِ حِملِ الوزرِ ترهيبٌ من الإعـــراض عـن الذِّكر

أورد النَّظم الجليل لفظين من جذرٍ واحدٍ، وهو (حمل) في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥ يَحۡمِلُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وِزۡرٗا ١٠٠ خَٰلِدِينَ فِيهِۖ وَسَآءَ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ حِمۡلٗا﴾، فاللَّفظان ﴿حِمۡلٗا﴾ و﴿يَحۡمِلُ﴾ كلاهما من الجذر (حمل)، فوقع بينهم جناس اشتقاقيٌّ، والغرض منه التَّأكيدُ على الاهتمام بهذا الحمل، فتكرارُ الألفاظ المشتقَّة من جذر واحد يدلُّ على الاهتمام بمضمون دلالتها، وكونه يَحْمِلُ ذنوبه، وقد سمّاها

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرَر: 12/ 341.

وِزْرًا؛ تشبيهًا في ثقلها على المعاقَبِ، وصعوبة احتمالها بالحمل الَّذي يفدح الحامل، ويُنقِضُ ظهرَهُ، في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥ يَحۡمِلُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وِزۡرًا﴾، وجاء بعده بقوله: ﴿وَسَآءَ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ حِمۡلٗا﴾، أي: ساء حملًا وزرُهم[1]، واستعمال اللَّفظين من اشتقاق واحد تأكيدٌ للمعنى الواردِ في لفظ الحمل، فيكون ما يحملُهُ من وِزرٍ مفضيًا إلى سوء الحمل، المُبين عن سوء العاقبةِ.

(1) البيضاويّ، أنوار التّنزيل وأسرار التّأويل: 4/ 38.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والثلاثون،
سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والثلاثون، سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 32 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-74-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 32 : المجلد الثاني والثلاثون، سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-74-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4565158 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»